كيف ندعو إلى الإسلام

كتبه غريب الديار الأحد ٢٠ رمضان ١٤٤٢

يُطرح عليَّ السؤال، كيف ندعو إلى الإسلام، مراراً، وأحيانا كثيرة يأتيني من يريد أن يدخل الإسلام، ويتعلمه، خصوصا من كفار أقوامنا، لذلك رأيتُ أنه من المناسب كتابة مقالٍ أشارك فيه بعض الأفكار الدعوية المستمدة من الوحي مع إخواني المسلمين، كنوع من التعاون على البر والتقوى، وسأكون سعيدا بقراءة مشاركات إخواني في التعليقات، ليستفيد منها الجميع، فكل منا يكمل أخاه.

لكي تسهل الاستفادة من هذا المقال فقد قسمته إلى المحاور التالية

- تشخيص كفر أقوامنا
- كيف ندعو إلى الإسلام أقوامنا
  a. لفت انتباه المدعو إلى آيات اللّٰه الكونية
  b. حث المدعو على تصور عظمة الغاية من الخلق
  c. البحث عن الغاية من الخلق
  d. استنتاج جوهر الإسلام وعدله
  e. بيان الإسلام وشروطه ورسالته.

تشخيص كفر أقوامنا

إن كفر أقوامنا يعود لسببين، الأول مشترك بينهم وبين كل الكفار، ألا وهو الغفلة عن آيات اللّٰه المنظورة، يقول ربنا عز وجل:

﴿ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم يَعدِلونَ ﴾

[الأنعام: ١]

فيعيشون كما لو كانت السماوات والأرض وما بينهما خُلقت باطلاً، من دون غاية مسبقة، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ وَما خَلَقنَا السَّماءَ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذينَ كَفَروا فَوَيلٌ لِلَّذينَ كَفَروا مِنَ النّارِ ﴾

[ص: ٢٧]

لذلك هم لا يفكرون إلا بما تمليه عليهم أهواؤهم.

السبب الثاني للكفر، والذي يختص به أقوامنا، هو جهل حقيقة الإسلام أصلاً، مما يجعلهم يتعاملون مع الإسلام وكأنه قوالب جاهزة، أو شعائر مجردة، لا رابط ظاهر بينها.

ولذلك من المستساغ عندهم أن يكون المرء مسلماً، وفي نفس الوقت جاهلاً بالإسلام، وهو معذور عند أغلبهم، وحتى الذين ينكرون العذر بالجهل، فإنهم لا ينكرونه لأنه يتنافى مع حقيقة الإسلام، وإنما لكون العالم فلان أنكره، أو لعدم وجاهة الأدلة التي يستند عليها من يقول بالعذر بالجهل.

الجهل بالإسلام له أسباب عدة، منها ما هو متوارث، فمنذ عصور ونحن نتوارث مجموعة من الشعائر - المُفرغةِ من المضمون - وكأنها هي الإسلام، ومن أراد تعلم الإيمان - العقيدة - فإنه يدرس تراثا مقيتا من الخلاف بين الأشاعرة والسلفية والمعتزلة.

ولكن السبب الأهم في تصوري هو العجمة التي طرأت على ألسنة العرب بسبب الاختلاط بالأعاجم، هذه العجمة للأسف نتجاهلها كثيرا فحين نريد أن نتعلم الإسلام نقرأ حديث جبريل الشهير والذي فيه:

الإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

ونتجاهل جهلنا باللسان، وبمعاني الكلمات فيه، فتصبح شهادة أن لا إله إلا الله مجرد نطق بهذه الجملة، لأننا لا نعرف معنى الإله، الذي نفينا أن يكون غير الله.

وإذا ادعينا أننا نعرف معنى لا إله إلا الله؛ وأنها تعني لا معبود بحق إلا الله، فإننا نجهل معنى العبادة، ونحصرها في مجموعة من الشعائر، من أتى بها فهو مسلم، لا يعبد غير الله، وإن خضع لغير شرع الله، فذلك لا يضر في تصور أقوامنا.

مما يعني أن الإسلام في حقيقته مجهول بالنسبة لأقوامنا, وهو عبارة عن جملة يرددها المرء ومجموعة من الشعائر المتفرقة.

لذلك ونحن ندعو إلى الإسلام أقوامنا ينبغي أن نضع ما سبق في حسباننا.

كيف ندعو إلى الإسلام

لكي ندعو إلى الإسلام علينا أن نشد انتباه المدعو إلى آيات الله الكونية, ونجعله يفكر فيها, ويتأمل, كما علينا أن نفهمه جوهر الإسلام وكيف أنه هو الدين الحق الذي ينبغي أن يتدين به المرء, وكل دين سواه هو ظلم للإنسان نفسه, وإليك بيان ذلك:

لفت انتباه المدعو إلى آيات الله الكونية

أول أمر ينبغي أن يبدأ به مع المدعو, هو التفكر في خلقِ الله سبحانه وذلك للفت انتباه المدعو إلى:

أولا عظمة خلق الله سبحانه وذلك من خلال آيات القرآن التي تنبه على ذلك مثل قوله سبحانه على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ اللّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ۝وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ۝وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِن أَعنابٍ وَزَرعٌ وَنَخيلٌ صِنوانٌ وَغَيرُ صِنوانٍ يُسقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعضَها عَلى بَعضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ ﴾

[الرعد: ٢-٤]

ثانيا التذكير بنعم الله بآياته على الإنسان, وذلك أيضا من خلال آيات القرآن الكثيرة في الباب, والتي منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ اعبُدوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم وَالَّذينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقونَ۝الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ فِراشًا وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ أَندادًا وَأَنتُم تَعلَمونَ ﴾

[البقرة: ٢١-٢٢]

ثالثا بيان افتقار الإنسان لمخلوقات الله، لكي يحيى على الأرض، وذلك من خلال آيات القرآن الكثيرة في الباب مثل قوله سبحانه:

﴿ قُل أَرَأَيتُم إِن أَصبَحَ ماؤُكُم غَورًا فَمَن يَأتيكُم بِماءٍ مَعينٍ ﴾

[الملك: ٣٠]

وقوله :

﴿ قُل أَرَأَيتُم إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمعَكُم وَأَبصارَكُم وَخَتَمَ عَلى قُلوبِكُم مَن إِلٰهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِهِ انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ ثُمَّ هُم يَصدِفونَ ﴾

[الأنعام: ٤٦]

وقوله:

﴿ قُل أَرَأَيتُم إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيكُمُ اللَّيلَ سَرمَدًا إِلى يَومِ القِيامَةِ مَن إِلٰهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِضِياءٍ أَفَلا تَسمَعونَ۝قُل أَرَأَيتُم إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيكُمُ النَّهارَ سَرمَدًا إِلى يَومِ القِيامَةِ مَن إِلٰهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِلَيلٍ تَسكُنونَ فيهِ أَفَلا تُبصِرونَ۝وَمِن رَحمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لِتَسكُنوا فيهِ وَلِتَبتَغوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرونَ ﴾

[القصص: ٧١-٧٣]

رابعا التخويف من آيات الله الكونية، لما قد تسببه من ضرر ينهي حياة الإنسان، وذلك من خلال آيات القرآن في الباب مثل قوله سبحانه

﴿ أَفَلَم يَرَوا إِلى ما بَينَ أَيديهِم وَما خَلفَهُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ إِن نَشَأ نَخسِف بِهِمُ الأَرضَ أَو نُسقِط عَلَيهِم كِسَفًا مِنَ السَّماءِ إِنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبدٍ مُنيبٍ ﴾

[سبأ: ٩]

حث المدعو على تصور عظمة الغاية من الخلق

هل يعقل أن الله عز وجل خلق كل هذا الكون عبثا, لا لشيء؟

إن المنطق يقول أن الغاية تتناسب مع العمل, فكلما كان العمل أكبر, كلما كانت الغاية منه أكبر, فالعامل الذي يقوم بعمل أكبر ينتظر الراتب الأكبر المتناسب مع جهده الذي بذل.

لذلك لابد أن يكون ربنا عز وجل خلق هذا الكون لغاية عظيمة تتناسب مع عظمة الكون نفسه, فحاشاه أن يكون خلق الكون لا لشيء, يقول ربنا عز وجل:

﴿ وَما خَلَقنَا السَّماءَ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما لاعِبينَ۝لَو أَرَدنا أَن نَتَّخِذَ لَهوًا لَاتَّخَذناهُ مِن لَدُنّا إِن كُنّا فاعِلينَ۝بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمّا تَصِفونَ ﴾

[الأنبياء: ١٦-١٨]

يجب أن يدرك من ندعوه إلى الإسلام أن فلاحه وسعادته متعلقة بمعرفة هذه الغاية التي خلق من أجلها, وأنها عظيمة جدا لدرجة أن من لم يقم بها عذابه سيكون فوق كل تصور, يقول ربنا عز وجل:

﴿ إِنَّ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلبابِ۝الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ ﴾

[آل عمران: ١٩٠-١٩١]

فيستحيل أن يكون كل هذا الخلق خُلق باطلاً لغير غاية, ومن ثم من لم يأت بهذه الغاية استحق عذاب النار.

البحث عن الغاية من الخلق

بعد ما سبق، علينا أن نبحث عن الغاية التي خلقنا من أجلها، وإلا فسيكون عقابنا شديد، ومن المنطقي جدا أن نبحث عن هذه الغاية في كلام الخالق نفسه، فهو من خلق الخلق، ومن ثم فهو وحده من له الحق في أن يحدد الغاية من خَلقِهِ التي خَلقَه من أجلها

عند هذه النقطة يتمايز نوعين من الكفار، فإذا كان المدعو إلى الإسلام من كفار أقوامنا، فإنه يعرف أن كلام الله هو القرآن.

أما إذا كان المدعو إلى الإسلام من بقية الكفار، فإننا نحتاج أن نثبت له أن القرآن كلام الله وهذا ميسور جدا نظرا لكثرة الأدلة العقلية التي تثبت أن القرآن كلام الله.

بعد إثبات أن القرآن كلام الله، علينا أن نفتش القرآن بحثا عن إجابة السؤال: ما هي الغاية التي خلقنا من أجلها؟

والجواب هو:

﴿ وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ ﴾

[الذاريات: ٥٦]

ثم نشرح للمدعو معنى العبادة التي خلقنا من أجلها، وضرورة أن يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا، وذلك باستخدام الحجج العقلية التي في القرآن مثل:

﴿ أَفَمَن يَخلُقُ كَمَن لا يَخلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ ﴾

[النحل: ١٧]

وقوله:

﴿ أَمَّن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنبَتنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهجَةٍ ما كانَ لَكُم أَن تُنبِتوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَل هُم قَومٌ يَعدِلونَ۝أَمَّن جَعَلَ الأَرضَ قَرارًا وَجَعَلَ خِلالَها أَنهارًا وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَينَ البَحرَينِ حاجِزًا أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمونَ۝أَمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكشِفُ السّوءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفاءَ الأَرضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ۝أَمَّن يَهديكُم في ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحرِ وَمَن يُرسِلُ

الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمّا يُشرِكونَ۝أَمَّن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَمَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُل هاتوا بُرهانَكُم إِن كُنتُم صادِقينَ ›

[النمل: ٦٠-٦٤]

والآيات في الباب كثيرة, هي جل القرآن.

استنتاج جوهر الإسلام وعدله

إن الخطوة السابقة تتلخص في أن يسلم المرء نفسه لله عز وجل وحده, بحيث يكون كل شيء لله, وهذا هو الإسلام:

‹ وَمَن أَحسَنُ دينًا مِمَّن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبراهيمَ خَليلًا ›

[النساء: ١٢٥]

وهذا هو معنى لا إله إلا الله, وهو الدين الحق, فنحن ملك لله, على أرضه سبحانه, وتحت سماه, ونعيش على رزقه, ونفتقر إليه في كل حين, لذلك لا معنى أنه نجعل له شريكا, فالشرك ظلم وجور علينا نحن, حيث نخضع لمن لا يملك لنا نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فأي جهل وأي ظلم أشد من هذا؟!

وكيف نشرك بالله, ونحن لا نقبل أن يشاركنا أحد فيما أعطانا ربنا؟

‹ ضَرَبَ لَكُم مَثَلًا مِن أَنفُسِكُم هَل لَكُم مِن ما مَلَكَت أَيمانُكُم مِن شُرَكاءَ في ما رَزَقناكُم فَأَنتُم فيهِ سَواءٌ تَخافونَهُم كَخيفَتِكُم أَنفُسَكُم كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعقِلونَ ›

[الروم: ٢٨]

إذا أدرك المدعو ما سبق, فإننا ننتقل إلى الخطوة التالية, وإلا فلا.

بيان الإسلام وشروطه ورسالته

الإسلام كما سبق وعرف المدعو هو إسلام النفس لله عز وجل بحيث لا يكون هناك رب يأمر في أي شيء سواه سبحانه:

‹ قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ۝لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ ›

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

ولكي يتحقق ذلك، علينا أن نعرف أين نجد أوامر ربنا عز وجل لنطيعها فنكون مسلمين بذلك.

الجواب يكمن في أن أوامر ربنا لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو وحده من أتانا من عند رب العالمين، وهو مصدقٌ مؤتمن في كل ما أخبر به، وخصوصا فيما نقله لنا من عند رب العالمين، سواء كان القرآن أو غير القرآن، فنحن أمرنا باتباعه اتباعا مطلقا، قال ربنا عز وجل:

‹قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ۝قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ›

[آل عمران: ٣١-٣٢]

وهذا هو معنى شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس المقصود مجرد الإقرار له بالرسالة، وإنما الاتباع اتباعا مطلقا.

من الضروري تنبيه المدعو إلى الإسلام على أن من اتبع شيئا لم يأت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي غير القرآن والسنة، هو مشرك بالله، لأنه قطعا غير مطيع لله عز وجل بشكل حصري، لأن أوامر الله عز وجل محصورة في القرآن والسنة. وهو اتبع غير القرآن والسنة.

وبهذا يتخلص المدعو إلى الإسلام من كم هائل من مصادر الشرك التي أشرك بسببها أقوامنا، والتي يسمونها مصادر التشريع.

كما ينبغي بيان شروط الإسلام التي لا يصح إلا بها مثل التسليم المطلق لله سبحانه، والولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين، وغيرها من تجليات الإسلام التي حاولت الحديث عنها بشكل مجمل في مقال ماذا يعني انتمائي للإسلام.

تلك هي النصائح حول كيف ندعو إلى الإسلام الكفار في زماننا، التي أردت مشاركتها مع إخواني المسلمين، رجيا أن تساعد كل داعية إلى الله عز وجل في أداء عبادة الدعوة إلى الله عز وجل.